محاضرة

دروس مستفادة

من سورة الفاتحة

فضيلة الشّيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢
ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛

تذكَّرتُ هٰذا المساء شيخنا العلامة المحدِّث حمَّاد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، كثيرًا ما سمعنا منه دروسًا وكلماتٍ في تفسير سورة الفاتحة، وتفسير سورة الإخلاص، وفي مناسباتٍ عديدةٍ يُطلَب منه إلقاء كلمةٍ أو درس للحاضرين، فكان يَطلُب من أحد الحاضرين قراءة سورة الفاتحة أو سورة الإخلاص، وأحيانًا سور أخرىٰ من القرآن الكريم، ثم يعلِّق بما ييسِّر الله له من المعاني المستفادة مِن هٰذه السورة أو من السور التي كان يتكلَّم عليها، وكما ذكرتُ كثيرًا ما سمعت منه دروسًا في هٰذه السورة وفي سورة الإخلاص، وكنّا في كلِّ مرةٍ نستمع إلىٰ فوائدَ جديدة.

وكان بعض طلاب العلم قد يستغرب من إكثار الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الكلام علىٰ هٰذه السورة العظيمة وبيان دلالتها في المناسبات المختلفة، ولكن لا غرابة؛ لأنّ حاجة الأمة إلىٰ هٰذه السورة وإلىٰ فهمها وإلىٰ العناية بها وإلىٰ الوقوف مع دلالاتها ومعانيها حاجةٌ شديدةٌ، ولأجل ذلك شُرِعَ لنا قراءتها في كلِّ ركعةٍ من كلِّ صلاة، فهي السَّبع المثاني التي تُثنّىٰ في كلِّ صلاةٍ، وتُقرَأ في كلِّ ركعةٍ، ولا صلاة لِمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، وهٰذا التّكرار والتثنية والإعادة لتلاوة هٰذه السّورة في كلِّ ركعةٍ من كلِّ صلاةٍ يدلُّ دلالةً بيِّنة علىٰ أهميَّة العنايةِ بهٰذه السورة من حيث التلاوة ومن حيث التدبُّر، ومن حيث التطبيق لمعاني هٰذه السورة ومقاصدها وغاياتها العظيمة.

وهٰذه السُّورة اشتملتْ علىٰ شفاء القلوب، وزوال الأسقام، وذهاب الأمراض، وتحقيق الإيمان، وغرس التوحيد، وردّ الباطل، وقمع الشبهات.. إلىٰ غير ذلك، واشتملت عليه ودلَّت عليه من أعظم ما يكون من الدلالة والبيان.

ومن أسماء هٰذه السورة (أم القرآن)، قد قال أهل العلم في معنىٰ ذلك أنها اشتملت إجمالًا علىٰ ما اشتمل عليه القرآن تفصيلًا، ولهٰذا فالقرآن كلُّه بيانٌ لهٰذه السُّورة وشرحٌ وتفصيلٌ، وهٰذه السُّورة فيها إجمالٌ لِما في كتاب الله العزيز، فهي مشتملةٌ علىٰ غاية المقاصد العظيمة ونهاية المَطالِب العليَّة، ومشتملةٌ علىٰ تقرير الإيمان، وبيان التَّوحيد، وغرس العقيدة، وردِّ الباطل بجميع أصنافه.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنّ مَن فَهِمَ هـٰذه السُّورة فَهمًا صحيحًا وتدبَّرها وأحسن في القيام بمقاصدها ودلالاتها فإنه يسلم -بإذن الله- من كلِّ باطلٍ وبدعةٍ، وإن أصابه شيءٌ من ذلك فإنه يصيبه لَمَمًا ولا يَستقرّ؛ لأنّ فيها تأصيلًا بليغًا وتقريرًا عظيمًا وتجليةً بيِّنةً لمقاصد هـٰذا الدِّين وغاياته العظيمة وأهدافه الجليلة.

لا غرابة في أن تكون هـٰذه السورة مع المؤمنين في أيَّامهم كلِّها يردِّدونها ويتأمَّلون معانيها ويقفون عند دلالاتها ويعملون بغاياتها ومقاصدها.

جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينا جبريلُ قاعدٌ عند رسول الله ﷺ إذ سمِع نقيضًا -يعني صوتا-من جهة السماء فرفع رأسه وقال: «**هـٰذا بابٌ فُتِحَ مِن السماء لم يُفتَح إلا اليوم، نزل من هـٰذا الباب مَلَكٌ لم ينزل إلا اليوم**» بابٌ من السماء يُفتَح لأوّل مرّة، ومَلَكٌ من السماء ينزلُ لأوّل مرّة، فأتىٰ هـٰذا الملك إلىٰ النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وقال: «**أَبشِّرك بنورَين أوتيتَهما لم يؤتَهما نبيٌّ قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته**» رواه مسلم في صحيحه.[١]

وجاء في الحديث الصحيح حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دعاني رسول الله ﷺ وكنتُ في صلاةٍ فلم أُجِب، فقال لي: «**مالي دعوتُك فلم تُجِب**»؟ قلت: إني كنتُ في صلاة، قال: «**ألم يَقُلِ الله:** ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[الأنفال:٢٤]؟»، ثم قال لي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**لأعلِّمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**»،[٢] ولاحظ هـٰذا التشويق والترغيب في الخير وشدِّ الانتباه، فهـٰذا أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمّا قال له النبي ﷺ هـٰذه الكلمة صار في غاية الشوق وتمام الرّغبة في معرفة هـٰذا الأمر العظيم ويتحرّىٰ متىٰ يستمع إلىٰ هـٰذه الفائدة الجليلة، وكثيرًا ما يأتي في أحاديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- هـٰذا التشويق والتّرغيب في الخير، قال: فلمّا أخذ النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- بيدي ولمّا أرادنا الخروج من المسجد قلت: يا رسول الله؛ ألم تَقُلْ أنك ستعلِّمني أعظم سورة في القرآن الكريم قبل أن نخرج من المسجد؟ وهـٰذا يدلُّنا علىٰ شدَّة شوقه وانشغال قلبه بهـٰذا الأمر وشدَّة رغبته في معرفته (ألم تقل لي أنك ستعلّمني أفضل سورة في القرآن

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، حديث رقم (٨٠٦).

(٢) **البخاري**: كتاب التفسير، باب ما جاء في سورة الفاتحة، حديث رقم (٤٤٧٤).

الكريم قبل أن نخرج من المسجد؟) قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **وهي أم القرآن والسبع المثاني**»، فهٰذه السورة هي أم القرآن، وفاتحة الكتاب، وهي السّبع المثاني.

فاتحة الكتاب: لأنها أوّل سورة تواجهكَ في كتاب الله ﷻ .

وهي أم القرآن: لأنها اشتملت علىٰ ما اشتمل عليه القرآن .

وهي **السبع المثاني**: لأنها سبع آيات، وشُرِع تثنيتها وإعادتها في كلِّ صلاة، وهٰذا أمرٌ اختصت به هٰذه السورة وفُضِّلت به علىٰ غيرها من سور القرآن.

أنت تقرؤها كلَّ يوم فرضًا سبع عشرة مرة، وإذا كنت تحافظ علىٰ النوافل فإنك تقرؤها في اليوم مراتٍ كثيرةٍ، ولهٰذا لا يحصي عدّ قراءتها في حياة المسلم إلا الله ﷻ.

أنتَ نفسك لو بحثتَ في مراتِ قراءتك لهٰذه السورة ما تحصي ذلك، لا يحصيها إلا الله، آلاف المرات، فهٰذا كلُّه يبيِّن عِظَم وشأن هٰذه السورة.

ولعِظَمِ شأنها تعدَّدت أسماؤها، وأسماء هٰذه السورة دالَّة علىٰ معاني جليلة فيها، لأنّ الأمر كلّما عَظُم كثرت أسماؤه الدَّالة علىٰ معانيه الجليلة.

فسورة الفاتحة لها أسماء كثيرة جدًّا منها ما دلّ عليه القرآن، ومنها ما دلت عليه سنة النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، ومنها ما جاء في كلام الصّحابة ومن اتبعهم بإحسان، ممّا يدلُّ علىٰ شدَّة تعلُّقهم بها وحسن فهمهم ومعرفتهم لمقاصدها، مثل ما جاء عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تسمية هٰذه السورة بـ(**الأساس**) وهو واضحٌ في هٰذه السورة، لأنها تأسِّس العقيدة، وتقرِّر الإيمان، وتؤصِّل الإيمان، وتنمِّي الإخلاص، وتقوِّي الصلة بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، فما أجلّ شأنها وما أعظم قدْرها وما أرفع مكانها.

والمسلم لا ينبغي أن يكون حظُّه من هٰذه السورة قراءة ألفاظها دون وقوف منه علىٰ معانيها ودلالاتها ودون أيضًا عناية بتطبيق مقاصدها وغاياتها.

وإذا نظرتَ أحوال الناس مع هٰذه السورة ترىٰ في المسلمين من لا يحسن قراءة هٰذه السورة ويلحن فيها لحنًا يحيل معناها ويُغيِّر دلالاتها.

وترىٰ فيهم من يحسن قراءة هٰذه السورة ويأتي بألفاظها صحيحة سليمة؛ لكنه لا يفهم معناها؛ بل ربّما ترىٰ في بعض الجهَّال وضُلَّال الناس مَن يقرأ هٰذه السورة ويحافظ علىٰ قراءتها؛ لكنه ينقض غاياتها ومقاصدها -عياذًا بالله من ذلك- كمن يدعو غير الله، ويلتجئ إلىٰ غيره، ويطلب المَدَدَ من غيره، ويعوذ ويلوذ بغيره، فأين هو وهٰذه السورة؟! وأين هو ومقاصدها ودلالاتها؟!

ولهـٰذا تـلاوة هــٰذه السـورة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾[البقرة:١٢١] إنما يكون ذلك بأمور ثلاثة، كلها يشملها التلاوة:

- قراءة الألفاظ قراءة صحيحة.
- وفهم المعاني والدلالات فهمًا صحيحًا سليمًا.
- واتّباع مقاصد القرآن والعمل بدلالاته.

ولهـٰذا تلاوة سورة الفاتحة حقّ التلاوة يكون بهـٰذه الأمور الثلاثة:

- بحسن القراءة لها.
- وحسن الفهم لمعانيها ودلالاتها.
- وحسن القيام بتطبيق مقاصدها وغاياتها.

فالاتّباع لمعاني القرآن ودلالاته هو من التلاوة، يقال: تلا فلان فلانا؛ أي تبعه، ولهذا من لا يتبع ما جاء في القرآن ولا يعمل بما دل عليه القرآن له حظ من هجر القرآن بحسب تفريطه باتباع القرآن والعمل به.

هـٰذا التّقديم أردت أن أنبه به إلىٰ حاجتنا الشّديدة إلىٰ العناية بهذه السّورة العظيمة، قراءة وتدبرًا، وتطبيقا، إلىٰ حاجتنا الشديدة إلىٰ تلاوة هـٰذه السّورة حق تلاوتها.

وانظر إلىٰ لفتةٍ كريمةٍ من الإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هـٰذا الباب حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ينبغي أن ينبَّه عوام المسلمين عندما يقرؤوا الفاتحة أنهم في دعاء الله عَزَّوَجَلَّ**".

انظر هـٰذه اللفتة (أنهم في دعاء الله عَزَّوَجَلَّ) عندما يقول المسلم:﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾، ينبغي أن ينبَّه أنه يدعو الله بأكمل ما يكون من الأدب في الدعاء والثناء والتمجيد والتعظيم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الحال أن كثيرا من الناس يقرأ الفاتحة دون أن يشعر أنه يدعو الله، فأين التدبُّر؟ وأين التلاوة؟ وأين العناية بهـٰذه السورة العظيمة؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**تأمّلتُ الأدعية -يعني الأدعية المأثورة الواردة- فوجدتُ أنّ أعظمها وأجلَّها سؤالُ الله الهداية، ووجدتُ ذلك في فاتحة الكتاب**".

فهل شعر تاليَ القرآن هـٰذا المعنىٰ الجليل؟ وهل استحضر معاني الهداية التي يطلبها من الله؟ وهل استحضر افتقاره إلىٰ الله واحتياجه إليه في أن يهديه سواء السَّبيل وأن يهديه صراطه المستقيم؟ وهل استحضر صراط الله المستقيم الذي يطلب من الله مراتٍ وكراتٍ أن يهديه إياه؟ وهل استحضر السُّبل

الناكبة عنه والطرق المنحرفة والتي يسأل الله عَزَّوَجَلَّ مرات وكرات أن يجنّبه إياها؟

فالحاجة إذًا شديدة وماسة إلىٰ أن نعتني بسورة الفاتحة وأن نهتم بتلاوتها وتدبرها وفهمها وتحقيق غاياتها ومقاصدها.

وموضوعنا هو:

(دروسٌ مستفادةٌ مِن سورةِ الفاتحةِ)

والفاتحةُ مليئةٌ بالدروسِ، ولا عَجَبٌ، فهي كما عرفنا أمُّ القرآن، ومشتملةٌ علىٰ ما اشتمل عليه القرآن كله، فما في القرآن موجود علىٰ وجه التفصيل موجود في سورة الفاتحة علىٰ وجه الإجمال، فهي مليئة بالدروس.

ومن دروس الفاتحة: دلالتها علىٰ التوحيد الذي هو أعظم المقاصد وأجلّ الغايات، دلالتها عليه بأركانه العظيمة وأقسامه الجليلة؛ توحيد الله في **ربوبيته**، وتوحيده في **أسمائه وصفاته**، وتوحيده في **ألوهيته**.

وقد اشتملت هٰذه السورة علىٰ هٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، وقرَّرتها بأجمل ما يكون من تقرير، وأوضح ما يكون من بيان، ومع ذلك ترىٰ في من ينتمي للإسلام من يشكِّك في أقسام التوحيد الثلاثة، مع أنها ظاهرة بيِّنةٌ من هٰذه السورة (سورة الفاتحة)، فهل تلا هؤلاء فاتحة الكتاب حق تلاوتها؟! وهل فهموها حق فهمها؟! مَن لا يُفرِّق بين معاني الربوبية ومعاني الألوهية وأسماء الله وصفاته أين فهمه لفاتحة الكتاب؟؟

فاتحة الكتاب قرَّرت التَّوحيد أجمل تقرير، وقرَّرت ما ينبغي أن يكون عليه العبد من توحيدٍ لله في ربوبيته؛ بالاعتراف بأنه وحده الخالق وأن ما سواه مخلوق، وأنّه وحده الرَّب وما سواه مربوب ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، والعالَمون: كلُّ من سوىٰ الله، فالرَّب واحد وهو الله وما سواه مربوب، ومن يثبت لله ربوبيته يثبت له كلَّ معاني الربوبية من الخلق والرَّزق والإيجاد والتصرُّف والإحياء والإماتة والتدبير.. وغير ذلك من أفعاله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو كلُّه من الإيمان بربوبيته ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾.

ثم في قولك في السورة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ هٰذا من إيمانك بربوبية الله جل وعلا، فأنت لا تستعين إلا بربِّ العالمين الذي بيده أزمة الأمور، ولهٰذا فإنّ سورة الفاتحة كما أنها مشتملةٌ علىٰ بيان التّوحيد بأقسامه الثلاثة فهي مشتملةٌ علىٰ ما ينبغي أن تكون عليه حال التوحيد، فيا من آمنت بأنّ الله

وحده الرب لا تلتجئ إلا إليه، ولا تعتمد إلا عليه، ولا تستعن إلا به، ولا تفوِّض أمورك إلا إليه، فهو ربُّ العالمين، وهو خالقهم أجمعين، وهو الذي بيده أزمّة الأمور.

وفي إيمانك بألوهية الله عَزَّوَجَلَّ الذي دلَّ عليه اسم الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيه إيمان منك بأنه وحده المعبود ولا معبود بحقٍّ سواه، ولهٰذا فأنت تقرأ في هٰذه السورة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هٰذا متعلِّق باسمه (الله)، لأنّ الله ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "الله ذو الألوهية والعبودية علىٰ خلقه أجمعين".

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ متعلِّق باسمه الرب.

ثم إيمانك بأسمائه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ تؤمن بأسماء الله، وتؤمن بدلالاتها، والأوصاف التي دلّت عليه، فأسماء الله ليست أعلاما مجرَّدة لا تدلُّ علىٰ معاني؛ بل هي أعلام وأوصاف، أعلامٌ دالةٌ علىٰ معاني، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ دالان علىٰ ثبوت الرحمة لله عَزَّوَجَلَّ، والرحمن دالٌّ علىٰ الوصف القائم به سبحانه، والرحيم دالٌّ علىٰ تعلُّق ذلك بالمرحوم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾[الأحزاب].

ومن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمن شاء من عباده أن يهديه إلىٰ صراطه المستقيم، فمن رحمه الله هداه صراطه المستقيم، ولهٰذا طلبك الهداية في هٰذه السورة لهو تعلُّق بإيمانك بأنه الرّحيم، فإن أدخلك في رحمته هداك إلىٰ صراطه المستقيم، ومن لم يهده صراطه المستقيم فهو خارج من رحمة الله، لا حَظَّ له ولا مطمع له في رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فانظر دلالة هٰذه السورة علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة، ودلالتها علىٰ ما ينبغي أن يكون عليه صاحب التوحيد ومحقِّق التوحيد من عملٍ وعبوديةٍ وذلٍّ وخضوعٍ وانكسارٍ بين يدي الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، محققًا توحيده، عاملًا بطاعته، مجدًا ومجتهدًا في ما يقرِّب إليه.

هٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد بُدِئ بها القرآن وختم بها القرآن في سورة الناس، وقد جاءت علىٰ الترتيب الذي جاءت به سورة الفاتحة، وجاءت في مواضع كثيرة من القرآن؛ بل إنّ القرآن كله توحيد لله عَزَّوَجَلَّ وبيان للتوحيد وأقسامه وفضله ومكمِّلاته وثواب أهله وعقوبة من خالفه وتركه.

وسورة الفاتحة بيَّنت فضل التوحيد وأقسام التوحيد وأنّ الهداية إلىٰ التوحيد منَّة من الله وتوفيق، وبيَّنت سبل النَّاكبين عن التوحيد، فما أعظم بيان هٰذه السّورة للتوحيد الذي خُلِقنا لأجله وأُوجِدنا لتحقيقه.

ومن دروس هٰذه السّورة دلالتها علىٰ أركان التعبُّد القلبية التي ينبغي أن تصاحب المسلم في كلِّ

عبادةٍ وكلِّ طاعة يتقرَّب بها إلىٰ الله ﷻ، فكلُّ عبادة يُتقرَّب بها إلىٰ الله لابدّ أن تقام علىٰ أركانٍ في القلب ثلاثة:

- حبُّ الله.
- رجاءُ ثوابه.
- خوفُ عقابه.

فأنت تصلي وتصوم تتصدق وتحج وتأتي بالطاعات حبًّا لله ورجاء لثوابه وخوفًا من عقابه، فهٰذه أركان التعبُّد القلبية، وقد جُمِعَتْ في قول الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾[الإسراء]، الحب في قوله: ﴿يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾، والرجاء في قوله: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾، والخوف في قوله:﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾.

فلابدّ في كلّ عبادة يتقرَّب بها إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ من أن تقام علىٰ هٰذه الأركان، وهي أن تعبد الله حبًا فيه ورجاءً في ثوابه وخوفًا من عقابه، ولا يجوز أن يُعبد الله بالحب وحده، ولا أن يُعبد الله بالرجاء وحده، ولا أن يعبد الله بالخوف وحده؛ بل يعبد بالحب والرجاء والخوف، كما قال بعض السلف: **"مَن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومَن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومَن عبد الله بالخوف وحده فهو حَروريّ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمنٌ موحِّد"**.

عبادة الله بالحب وحده هٰذه طريقة المتصوِّفة ولا سيما غُلَاته؛ يقولون: "نحن نعبد الله حبًّا فيه لا رجاءً لثوابه ولا خوفًا من عقابه، والذي يعبد الله رجاء ثواب الله ورغبة في الجنة وخوفًا من النار فهٰذه عبادة تُجَّار، يقدِّم ليأخذ"، وأنبياء الله والتابعون لهم من عباد الله المؤمنين يعبدون الله ﷻ وهم يرجون منه رحمته وجنته ويخافون من عقابه وناره، وقد كان - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل**»، ولمّا قال ذلك الرجل: يا رسول الله! إني لا أُجِيد دَندنتَك ولا دَندنة معاذٍ -يعني الدعاء- الذي تقوله أنت ومعاذ ما أُحْسِنه، قال:«**فماذا تقول؟**» قال: أقول: اللَّهُمَّ إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**ونحن حولها نُدندِن**»[1] يعني أعمالنا وعباداتنا دندنةٌ حول الجنة والنار؛ نريد

---

(١) **سنن ابن ماجه**، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، حديث رقم (٣٨٤٧).

من الله أن يدخلنا الجنة وأن ينجينا من النار، وكان - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يُكثِر في دعائه الاستعاذة من النار وسؤاله ﷻ الجنة، وكان مِن أكثر دعائه في «صحيح مسلم»: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».(١)

فكيف يقول هؤلاء المجرمون المعتدون إنّ هٰذه عبادة التجَّار؟!.

ثم إنّ هٰذا الاعتقاد عند هؤلاء أوجَد في نفوسهم استخفافًا بالجنة واستخفافًا بالنار واستهانةً بأمرهما، ولهٰذا كَثُرَ في كتب هؤلاء الغلاة من المتصوِّفة كلامًا بغيضًا وألفاظًا ذميمةً في الاستخفاف بالنار والاستخفاف بالجنة والاستهانة بأمرهما، وكلُّ ذلك وليد عقائدهم الباطلة، فالله ﷻ لا يُعبَد بالحب وحده، يُعبَد بالحبِّ والرجاءِ والخوفِ، نعبده ﷻ لأننا نحبُّه ونحبُّ عبادته ونحبُّ ما يقرِّب إليه، ونعبده لأننا نريد ثوابه وجنته، ولأننا نخاف من عقابه وناره ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾[التحريم:٦] أي بعبادته والتقرُّب إليه ﷻ.

ومَن عَبَدَ الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، والمرجئة طريقتهم هي إعمالُ نصوصِ الرجاء والوعد وإهمالُ نصوص الوعيد.

ومَن عَبَدَ الله بالخوف وحده فهو حروري؛ أي من الخوارج الذين يُعمِلون نصوصَ الوعيدِ والخوفِ ويُهمِلون نصوصَ الوعد والرجاء، فالله يُعبَد بالحب والخوف والرجاء.

فهٰذه الأركان الثلاثة للتعبّد- الأركان القلبية للتعبُّد- اشتملت عليها سورة الفاتحة، وما رأيت أحدًا نبَّه علىٰ هٰذه الفائدة الجليلة قبل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد نبَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هٰذه الفائدة في رسالةٍ له في بعض فوائد سورة الفاتحة، فذكر من فوائد هٰذه السورة أنها اشتملت علىٰ أركان التعبُّد القلبية؛ الحب والرجاء والخوف، وانظر دلالة هٰذه السورة علىٰ هٰذه الأركان الثلاثة:

أما الحب في قولك: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، والحمد كما قال العلماء: هو الثّناء علىٰ الله مع حبه، أما إذا كان الثناء عَرِيًا من الحبِّ خاليًا فإنه يسمَّىٰ مدحًا مجرّدًا، أما إذا كان عن حبٍّ للممدوح فهو حمد، ففي قولك: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ حب الله؛ لأنك تحمد الله ﷻ، وفي حمدك له قيام لحبه في قلبك سبحانه، وهو ﷻ يُحمَد علىٰ أسمائه الحسنىٰ وصفاته العظيمة، ويُحمَد علىٰ مِنَنِه

---

(١) **البخاري**: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ «ربنا آتنا في الدنيا حسنة»، حديث رقم (٦٣٨٩). **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، حديث رقم (٢٦٩٠).

التي لا تُعَدُّ ولا تحصىٰ، وعطاياه الكريمة، وأنت إذا عرفت الله وعرفت أسماءه وعرفت صفاته وعرفت نعمه عليك ازددت حبًّا له، فالحمد فيه حب الله.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ إذا تلوتها متدبِّرًا معناها، عارفًا بدلالاتها واستحضرت رحمة الله فما الذي يقوم في قلبك؟ وما الذي يطمع فيه قلبك أو يرجوه؟ ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ ﴾[الإسراء:٥٧]، فإذا قلتَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ تحرك في قلبك الرجاء، كما أنك إذا قلت: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ تحرك الحب.

فإذا قلت: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، وأنت تتأمّل معنىٰ هٰذه الآية، والدِّين هو يوم الجزاء والحساب والعقاب والوقوف بين يدي الله ومجازاة الناس ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾[الإنفطار]، فأنت إذا تلوت ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ مستَحضِرًا معناها أيُّ شيءٍ يقوم في قلبك؟ أليس يقوم في قلبك خوف الله -جل وعلا- خوف مالك يوم الدِّين ومالك يوم الجزاء والحساب والعقاب؟، فإذا تلوت ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ قام في قلبك الخوف.

عندئذ تقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، وهٰذه الغاية، والغاية هي العبودية، عبودية الله والقيام بطاعته والذل له ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾.

لكن ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ لم تأتِ إلا بعد أن أرسيت أركانها، فأنت كأنك تقول إياك نعبد بالحب الذي دلَّ عليه ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، وبالرجاء الذي دلَّ عليه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾، وبالخوف الذي دلَّ عليه ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، وهٰذا التنبيه من هٰذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ألْطَفِ ما يكون وأجمل ما يكون في ربط الناس بدلالة السورة العظيمة ومقاصدها الجميلة.

ومن فوائد هٰذه السورة ودروسها العظيمة اشتمالها علىٰ شرطَي قبول الأعمال، لأنّ الأعمال التي يُتقرَّب بها إلىٰ الله ﷻ لا يكون إلا بتحقيق شرطَين:

- إخلاصٌ للمعبود.
- ومتابعةٌ للرسول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ:﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾[هود:٧] قال: "أخلَصُه وأَصوَبه"، وقيل: يا أبا علي! وما أخلَصه وأصوَبه؟ قال: "إنّ العمل إذا كان خالِصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالِصًا لم يُقبَل، حتىٰ يكون خالصًا صوابًا، والخالِص ما كان

لله، والصواب ما كان علىٰ السنة"، فهٰذان شرطان لا قبول لأيّ عمل من الأعمال إلا بهما، وسورة الفاتحة فيها هٰذان الشرطان؛ الإخلاص والمتابعة.

أمّا الإخلاص في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾، فإنّ هٰذا الأسلوب فيه حصر، تقديم المعمول علىٰ العامل يدل هٰذا علىٰ الحصر، أصل الجملة: نعبدك ونستعين بك، فلمّا قدَّم قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ دل علىٰ الحصر؛ أي نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، وهٰذا هو الإخلاص.

الإخلاص أن تأتي بالعبادة صافية نقية لم يرد بها إلا وجه الله، هٰذا هو الإخلاص، الإخلاص هو الصفاء والنقاء، والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل العبادة إلا بهٰذه الصفة الذي دل عليها قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾، أي: إياك نَخُصُّك بالعبادة ولا نعبد غيرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: منك وحدك نطلب الإعانة لا نطلبها من غيرك، والله ۵ لا يقبل أيّ عمل إلا إذا كان علىٰ هٰذه الصفة، إلا إذا كان قائمًا علىٰ هٰذا الأساس، مصروفًا لله وحده وليس لغيره فيه أي شركة.

وقد جاء في الحديث القدسي أنّ الله تعالىٰ يقول: «**أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»،[(١)] فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقبل من العمل إلا الخالص.

ولا بأس أن نقف قليلًا لأن فهم معنىٰ الإخلاص في اللغة، يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ ﴾[النحل] خذ من هٰذه الآية درسًا في فهم معنىٰ الإخلاص، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ ما معنىٰ خالصًا؟ أي صافيًا نقيًّا، يخرج اللبن من بهيمة الأنعام وهو حين خروجه يخرج من بين فَرْثٍ ودَمٍ، حتىٰ إنّ بعضهم يقول: إنه يخرج للتو عند حلبه من بين الفرث والدم ولا ترىٰ فيه قطعة فرث ولا نقطة دم، خالص: أي صافي نقي، مصفّىٰ بأحسن ما تكون التصفية، بحيث أنه لتوّه خرج من بين الفرث والدم وليس فيه قطعة فرث ولا نقطة دم، ثم إنك مع علمك بمخرجه فهو سائغ لك ﴿ سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ ﴾ يستسيغونه يستلذُّونه ويَتطعَمونه، والله -جلا وعلا- لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه؛ أي صافيًا نقيًّا لم يُرَد به إلا وجه الله، فالمخلص لا يسأل إلا الله، ولا يستغيث إلا بالله، ولا يتوكل إلا علىٰ الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يصرف أي طاعة إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المعبود بحق ولا معبود بحقٍّ سواه.

(١) مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، حديث رقم (٢٩٨٥).

فسورة الفاتحة فيها تقرير للإخلاص بأروع ما يكون وبأحسن ما يكون من بيانٍ.

الشرط الثاني: وفيها وهو المتابعة للرسول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وهو في قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾، فأنت تسأل الله مرات وكرات في كلِّ مرةٍ تقرأ هٰذه السورة تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، وما الصرط المستقيم؟ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾[الشورىٰ] فالصراط المستقيم هو سبيل النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، هو السبيل الذي دعا إليه رسولنا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[الأنعام:١٥٣]، ففي قولك: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فيه متابعة للرسول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، ولزوم نهجه، والحرص علىٰ سنته وهديه، فإنّ الصراط المستقيم سبيله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-، وأنت عندما تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ هٰذا منك دعاءٌ وطلبٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، وأهل العلم -وهٰذه فائدة جليلة- أهل العلم يقولون: مَن دعا الله عَزَّوَجَلَّ عليه أن يُتبع دعاءه ببذل السبب لأنّ الدعاء طلبٌ ورجاءٌ واستعانةٌ بالله عَزَّوَجَلَّ فإذا طلبتَ من الله ودعوته ورجوته اتْبع هٰذا الدعاء وهٰذا الرجاء ببذل السبب؛ كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**واحرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله**»،[1] فأنت إذا قلت: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فإنه يلزمك أن تبحث عن الصراط المستقيم وأن تجتهد في معرفته، وأن تجاهد نفسك علىٰ لزومه وسلوكه والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[العنكبوت:٦٩].

أما من يقول في صلاته: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ وإذا انتهىٰ من الصلاة فتح الكتب التي تشمل علىٰ البدع والأهواء والضلالات والآراء الباطلة يتعلَّم منها ويتلّقىٰ عليها ويُفيد منها فأين هٰذا الدعاء من هٰذا العمل وهٰذا المسلك؟! فلابد للدّاعي والسائل صراطَ اللهِ المستقيم أن يُتبع دعاءه وسؤاله بالجدّ والاجتهاد: في معرفة الصراط المستقيم، وأيضًا في تطبيقه لهٰذا الصراط ومجاهدة نفسه علىٰ العناية به.

ولهٰذا سورة الفاتحة لا تزال -مع عنايتك بها وتدبرك لها- لا تزال تغرس فيك مرات وكرات الإخلاص للمعبود والمتابعة للرّسول، وإذا كنت تحسن فهم هٰذه السورة فإنها -بإذن الله تَبَارَكَ

---

(١) مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤).

وَتَعَالَىٰ- تُذهب عن قلبك البدع والأهواء، وتقول عن هـٰذه الأهواء ليست من صراط الله المستقيم، لو كانت من صراط الله المستقيم لبيَّنها الرسول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ولدعا إليها ولثبتت في سنته، ولهـٰذا تلاوة هـٰذه السورة علاج وشفاء وربط بسبيل الله المستقيم وصراطه القويم الذي دعا إليه رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه.

أين أهل الأهواء والبدع من هـٰذه الدعوة المباركة الكريمة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾، وهم صباحًا ومساءً في البدع والأهواء والآراء والضلالات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وليس عليها في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ حجة ولا برهان؟

أين سؤالهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يهديهم صراطه المستقيم؟

فالذي يتدبر هـٰذه السورة ويعتني بفهمها تغرس فيه الإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول؛ وهما شرطان، لا قبول لأيّ عمل من الأعمال إلا بهما.

ومِن دروس هـٰذه السورة العظيمة أنّ فيها بيان لمقام الدعاء، وعظيم شأنه، ورفيع مكانته، وحاجة الناس الشديدة إليه، وأنّ الدعاء مفتاح كلّ خير في الدنيا والآخرة، وأنك لا صلاح لأمورك كلها وشؤونك جميعها الدينية والدنيوية والأخروية إلا بالالتجاء إلىٰ الله والاعتصام به ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾[آل عمران:١٠١]، فلا سبيل لتحصيل أي خير وأي فلاح في الدنيا والآخرة إلا باللجوء الكامل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الدعاء مفتاح كل خير"، والدعاء هو ذلٌّ لله عَزَّوَجَلَّ، وافتقار بين يديه، والتجاء كامل إليه، وطلب منه، وتفويض إليه.

فهـٰذه السورة تغرس فيك حاجتك إلىٰ دعاء الله، وافتقارك إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فالصراط المستقيم حتىٰ وإن عرفته وإن عرفتَ حسنه وجماله وكماله وعِظَم عائدته علىٰ أهله في الدنيا والآخرة لا تستطيع أن تسلكه إلا إذا هداك الله إليه، وتفاصيل هـٰذا الصراط أو التفاصيل المتعلقة بهـٰذا الصراط والثبات علىٰ هـٰذا الصراط والممات عليه لا يمكن أن يحصل لك إلا إذا هداك الله وثبتك، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يقولون كما في صحيح البخاري:

لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

وفي رواية: ولا تصدقنا ولا صلينا.

فلا تستطيع أن تمشي في صراط الله المستقيم ولا خطوة واحدة إلا إذا هداك الله إليه، فأنت بحاجة إلىٰ دعاء الله، أنت فقير إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن يهديك إلىٰ صراطه المستقيم، وقد كان كثيرًا ما يأتي في دعاء النبي

ﷺ سؤال الله الهداية، كما في قوله: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الهدىٰ والسّداد**»،[١] وقوله: «**اللَّهُمَّ إني أسألك الهدىٰ، والتقىٰ، والعفة، والغنىٰ**»، [٢] وقوله في دعاء القنوت: «**اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت**»، [٣] ولاحِظ «**اهدني فيمن هديت**» تستحضر أنّ الهادي هو الله، يعني أسألك سبيل من هديتَهم، فالهداية منَّة من الله ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ﴾[فاطر:٠٨] فأنت لتسلك صراط الله المستقيم بحاجة أن يهديك الله صراطه المستقيم، ولا تستطيع الثبات عليه إلا إذا ثبّتك الله، وقد كان -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يقول في دعائه: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**»، [٤] وكان يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إلٰه إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما. [٥]

فهٰذه السورة فيها ربط للعبد بالله، وإيجاد لصلة بالله وافتقار واحتياج إلىٰ الله ﷻ لكي تكون من المهتدين لكي تكون من أهل الصراط المستقيم.

وكما أنّ فيها بيان لحاجتك إلىٰ الدعاء وشدة افتقارك إلىٰ الله ﷻ ففيها بيان للأدب الذي ينبغي أن تكون عليه في دعاء الله، فأنت عندما تدعو الله تقدِّم بين يدي دعائك ثناءً علىٰ الله وتمجيدًا لله وتفويضًا لله ﷻ ثم تسأل.

جاء في «صحيح مسلم»[٦] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالىٰ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين**»، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: "**سورة الفاتحة قُسِمَت بين الله والعبد نصفين، فثلاث آيات ونصف لله، وثلاث آيات ونصف للعبد**"، «**قسمت الصلاة**» والمراد بالصلاة الفاتحة، وسميت الفاتحة صلاة لأنّ لا صلاة إلا بها، وهٰذا يدلُّنا علىٰ عظم شأن هٰذه السورة

---

(١) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧٢٥).

(٢) **مسلم**: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧٢١).

(٣) **سنن الترمذي**:: كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (٤٦٤). **سنن أبي داود**، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (١٤٢٥). قال الألباني: صحيح.

(٤) **سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمٰن، حديث رقم (٢١٤٠)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٥) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾..، حديث رقم (٧٣٨٣).

مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم (٢٧١٧). واللفظ له.

(٦) **مسلم**: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث رقم (٣٩٥).

الكريمة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال العبد: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ قال الله: حمدني عبدي.، فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾، قال الله: أثنىٰ عليّ عبدي. فإذا قال العبد: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾، قال الله: مجدني عبدي. » وقال مرة: «فوّض إلي عبدي»

كل هـٰذا الحمد والثناء والتمجيد يأتي بين يدي الدعاء، فقولك: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ حَمْدٌ لله، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ثناء علىٰ الله وتوسُّع في الثناء علىٰ الله، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ تمجيد لله، والمجد معناه في اللغة: السَّعة، فأنت في ثناء ومبالَغة في حمد الله والثناء عليه وتعظيمه -جل وعلا- بين يدي دعائك، وقبل ذلك أيضا تعترف بالعبودية له: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾، فهـٰذه كلها وسائل بين يدي دعائك، فأنت تتوسل إلىٰ الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وتتوسل إليه بعبوديتك له وذلك بين يديه وافتقارك التام إليه.

ثم يأتي الدعاء: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾، ففي هـٰذا بيانٌ لمقام الدعاء وبيانٌ للأدب الذي ينبغي أن يكون عليه الداعي، «**فإذا قال العبد:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾، **قال الله: هـٰذا بيني وبين عبدي**»، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ لله، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ للعبد، فالعبد هنا يطلب مصالِحه وحاجاته من الله ﷻ، وعبوديته وذله خضوعه كلّه يصرفه لله، فهـٰذا بيني وبين عبدي، «**فإذا قال العبد:** ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ **قال الله: هـٰذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض كتبه يلفت إلىٰ لفتة لطيفة: عندما تقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾، ماذا يقول الله؟ حمدني مَن؟ حمدني عبدي، فإذا قلت: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ يقول الله: «**أثنىٰ عليّ عبدي**»، وإذا قلت: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ يقول الله:«**مجدني عبدي**»، فأنت في كل مرة تقرأ فيها الفاتحة تحظىٰ بقول الله عنك: عبدي ،عبدي، عبدي، ثلاث مرات. ويقول ابن القيم في هـٰذا المقام: "لولا ما علىٰ القلوب من الغشاوة والتعلق بالدنيا، لطارت فرحًا بقول الله عنك: عبدي، عبدي، عبدي"، لكننا مشغولون. فهـٰذا أيضًا من دروس هـٰذه السورة العظيمة.

ومن دروس هـٰذه السورة الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالنُّبوات.

ومن دروسها كذلك الإيمان بالقدر.

ومن دروسها أيضًا معرفة العبد ربه.

ومن دروسها ومعرفة العبد لنفسه، وضعفه وحاجته وافتقاره إلىٰ ربه.

وهي مليئة بالدروس العظيمة والعبر البالغة والدلالات النافعة، ولعل فيما سمعناه من دروس حول هـٰذه السورة كفاية.

ونسأل الله -جل وعلا- أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يوفقنا لكلّ خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة.

والله -تعالىٰ- أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.